الاسم: عفاف **اللقب: بوقلقول**

جامعة الانتماء: محمد لمين دباغين سطيف 2

القراءات النسقية الحديثة للخطاب القرآني مساءلة معرفية ونقدية

المحور الثالث: القضايا المنهجية في الدراسات القرآنية

ملخص المداخلة:

عرفت الساحة النقدية عدة تحولات إبستيمولوجية وفلسفية في مناهجها النّقدية؛ ففي البدايات كان يُنظر للنص الأدبي من زاوية السياق، إلاّ أنّ هذه المناهج لم تعد تجيب عن أسئلة النّاقد، فظهرت المناهج النّسقية كرد فعل طبيعي، تدعو إلى مقاربة النص الأدبي مقاربة نسقية، إلاّ أنّ الأمر لم يتوقف عند النص الأدبي، بل ذهب النقاد إلى قراءة النصّ المقدّس وفق المناهج الحديثة، فأثرت هذه الموجات في توجهات الدراسات القرآنية، مما جعل البعض يعتمد على هذه المناهج في تفسيره وتحليله للنص القرآني، فظهرت عدة توجهات في الساحة الثقافية الإسلامية، هذا هو الأمر الذي جعلنا نبحث في كيفية تأثير المناهج الحديثة في قراءة القرآن الكريم، والكشف عن مخاطر القراءات النسقية، والبحث في أصولها ومرجعياتها المعرفية والفلسفية، ومساءلتها وإعادة النظر فيها من زاوية معرفية ونقدية، وتكمن أهمية البحث في كشف الستار عن مخاطر المناهج المحايثة عند استعمالها كقراءة للنص الديني للقارئ، ولعل الدراسة الوصفية التحليلية هي الأنسب في تعرية وكشف ما وراء ستار المناهج النسقية الحديثة كمقاربة للنص القرآني.

إلى هنا نطرح جملة من التساؤلات نشيد بالذكر منها: ما هي أهم المرجعيات التي ارتكزت عليها المناهج الحديثة؟ كيف أثّرت في توجيه قراءات النص القرآني؟ كيف تعامل النقاد العرب مع المناهج النسقية في مقاربتهم للنص القرآني؟

الكلمات المفتاحية: المناهج الحديثة، الخطاب القرآني، المرجعيات، القراءات، النسق.

Abstract:

The critical arena witnessed several epistemological and philosophical shifts in its critical approaches. In the beginning, the literary text was viewed from the perspective of the context, but these approaches no longer answered the critic's questions, so the systematic approaches appeared as a natural reaction, calling for a systematic approach to the literary text, but the matter did not stop at the literary text, rather the critics went to read The sacred text according to modern curricula, and these waves influenced the directions of Quranic studies, which made some rely on these curricula in their interpretation and analysis of the Qur'anic text, and several trends appeared in the Islamic cultural arena.

This is what made us look at how modern approaches affect reading the Holy Qur'an, reveal the dangers of systemic readings, research their epistemological and philosophical origins and references, question them and re-examine them from an epistemological and critical angle. As a reading of the religious text for the reader،Perhaps the descriptive analytical study is the most appropriate in exposing and revealing what is behind the curtain of modern systemic approaches as an approach to the Qur'anic text. To this point, we raise a number of questions, including: What are the most important references on which modern curricula are based? How did it influence directing readings of the Quranic text? How did Arab critics deal with systemic approaches in their approach to the Quranic text?

Keywords: modern curricula, Quranic discourse, references, readings, System.

مقدمة:

تنوعت المقاربات المنهجية للنصوص الأدبية، بين مناهج سياقية، وأخرى نسقية، وتُعد هذه الأخيرة النقلة النوعية التي عرفتها الساحة النقدية في عصر النهضة، خاصة مع ميلاد الحداثة، وعليه فقد توجهت جميع الأقلام النقدية إلى تحليل النصوص وفق رؤى نسقية، تنطلق من النص وتعود إليه، متبنية في ذلك: لسانيات دوسوسير، والشكلانية الروسية، والنقد الجديد.

ومن بين المناهج النسقية التي ظهرت (البنيوية/ الأسلوبية/ السيميائية)، حيث تتميز كل مقاربة بخصائص ومقولات مختلفة عن الأخرى. والأمر لم يبق عند الغرب فقط، بل انتقل إلى العرب، حيث شهدت هي الأخرى حداثة في خطابها النقدي، فظهرت فرق نقدية تقارب النصوص العربية وفق المناهج النسقية، وظهرت فرق أخرى تقارب النص القرآني وفق ما تتطلبه المناهج الحيثة، رغم خطورتها والأفكار التي تحملها، هذا هو الأمر الذي جعلنا نبحث في كيفية تأثير المناهج الحديثة في قراءة القرآن الكريم، والكشف عن مخاطر القراءات النسقية، والبحث في أصولها ومرجعياتها المعرفية والفلسفية، ومساءلتها وإعادة النظر فيها من زاوية معرفية ونقدية.

إلى هنا نطرح جملة من التساؤلات نشيد بالذكر منها:

_ ما هي أهم المرجعيات التي ارتكزت عليها المناهج الحديثة؟

_كيف تعامل النقاد العرب مع المناهج النسقية في مقاربتهم للنص القرآني؟

1/مرتكزات المناهج الحديثة:

تُعد فترة الحداثة من أهم المراحل التي تميز بها الغرب، بعدما خرج من عصور الظلام التي عاشها لقرون من الزمن، ولقد استطاع أن يسطع نجمه، بعدما ثار على سلطة الكنيسة، وكان للنهضة الأوروبية يد في ذلك، وحدثت نقلة

نوعية في كل الميادين، من بينها الساحة النقدية، خاصة بعدما كان يُنظر للنص الأدبي من زاوية السياق، ولأنه لم يعد يجيب عن أسئلة النّاقد، ظهرت المناهج النّسقية متأثرة بالحراك الحداثي كرد فعل طبيعي.

فعملت "القراءة الحداثية على الحدّ من سلطته وتهذيب حضوره في المجال القرائي"[1] ودعت إلى مقاربة النص الأدبي مقاربة نسقية، أي دراسته دراسة داخلية وعزله عن محيطه الخارجي وكل الظروف الاجتماعية والنفسية والتاريخية، فالقراءة السياقية للنص "قراءة استنزافية تمتص كل مكوناته وتُؤَوِلُهَا بحسب توجيهات السياق فلا تُبقي خلفها إلاَّ هياكل نخرة جوفاء"[2]، ولقد ارتكزت المناهج النسقية الحديثة على جملة من المرجعيات نحو:

أ/النقد الجديد: New Criticism

ظهر النقد الجديد كمدرسة في كل من أمريكا (الأنجلو أمريكي)، متأثرا بأعمال آيفور وريتشاردز وإليوت، النصف الأول من القرن العشرين، وفرنسا (الأنجلو ساكسوني) "في ستينيات القرن الماضي أثناء السجالات النقدية الحادة التي دارت بين أنصار النقد الأكاديمي التقليدي وأنصار النقد الحداثي....وتواتر مصطلح (النقد الجديد) ..ليكون عنوانا للمناهج النسقية الجديدة"[3]، وتعود عبارة النقد الجديد إلى كتاب أصدره الباحث الأمريكي جون كرورانسوم سنة 1940 بعنوان: (The New Criticism/ النقد الجديد)، واستعرض فيه أعمال النقاد الذين يمثلون حركة الحداثة الجديدة.

والنقد الجديد رؤية جديدة للأعمال الأدبية، تنظر للنص الأدبي كجسد مغلق منقطع عن العوامل الخارجية، فالنص عندها عبارة عن نسيج من العلاقات الداخلية التي ينبغي على الناقد أن يكتشفها خلال تقويمه وفحصه للنص، وبهذا يصبح النص وفق رؤية النقد الجديد وسيلة وغاية في آن واحد بمعزل عن العالم الخارجي. ويدعو النقد الجديد إلى "التحرر من الخطابات النقدية الإيديولوجية بكل تبعاتها المرجعية سواء أكانت تاريخية أم اجتماعية"[4]

من أهم مبادئه:

_قطع الصلة بالعالم الخارجي في الأدب.

_ رفض ربط الأدب بأي هدف.

_ الاهتمام بتحليل النص وعناصره الجوهرية بعيدا عن الاشتغال بالانطباعات.

---

[1] حبيب مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي دراسة في المناهج، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، دط، دت، ص: 118.

[2] المرجع نفسه، ص: 115.

[3] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي الحديث، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ص: 49،50.

[4] عمر عيلان، النقد العربي الجديد مقاربة في نقد النقد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص: 17.

ـ رفض الفصل بين الشكل والمضمون، ودراسة النص "بوصفه وحدة عضوية متجانسة العناصر التي هي مكوناته الداخلية الأساسية. وقد أخذ النقد الجديد فكرة (العضوية) عن الشعراء الرومانسيين وطوروها ويؤول مبدأ الشكل العضوي إلى اعتبار النص الأدبي كائنا لغويا...يمثل بنية كلية متجانسة مستقلة عن الظروف والمؤثرات المحيطة، مثلما يؤول إلى أن النص وحدة كلية متداخلة يستحيل فصل شكلها عن مضمونها"[1].

ب/الشكلانية الروسية:

قامت الشكلانية الروسية كرد فعل عنيف ومناهض على الدعوات التي تقيم الأدب من حيث الغايات النفسية والاجتماعية والتاريخية، بغية تغيير الواقع أو إحداث ثورة على الأنظمة الفاسدة والطاغية حسب رؤيتها، وأشهر الدعوات التي قامت ضدها الدعوة الرومانتيكية التي مجدت الذات_ اعتبرت الذات مصدر الأدب_ الأمر الذي جعل الشكلانيون يضعون أسس علمية لدراسة الأدب، ولطالما رددوا شعار "آن الأوان لدراسة الأدب الذي ظل منذ أمد بعيد أرضا بدون مالك أن ترسم الحدود لحقلها وتحدد بوضوح موضوع البحث"[2].

والشكلانيون الروس Russian Formalists تسمية أطلقت على حلقتين أدبيتين ظهرتا في روسيا، بداية من سنة 1915م، تتمثل الحلقة الأولى في حلقة موسكو اللسانية The Mosco Linguistic Circle وكان يترأسها رومان جاكبسون ، من بين اهتماماتها "الشعرية واللسانيات، وتبحث في شؤون الأدبية وماهية الشكل"[3] واهتمامها بالشكل كان بعد تأثرها بفلسفة الأشكال الرمزية، التي تهتم بشكل العمل الفني لا مضمونه، تركز على جماله، فتوجهت اهتمامات الشكلانية إلى جماليات الشكل. أما الحلقة الثانية والتي مثلتها جماعة الأوبوياز OPOJAZ وتسمى أيضا بحلقة سان بطرسبورغ نسبة إلى المدينة التي تأسست فيها، ويطلق اسم الأبوياز على "جمعية دراسة اللغة الشعرية" التي تأسست عام 1916م.

وتقوم الشكلانية الروسية على فكرتين التشديد على الأثر الأدبي وأجزائه المكونة له، والإلحاح على استقلال علم الأدب.[4] فهم يركزون على جوهر النص الأدبي، ولهذا رفعوا شعار "أدبية الأدب"، حيث أن الأدب يتميز بجملة من الخصائص تميزه عن باقي الفنون، كما أنهم اهتموا بمصطلح الأدبية Literariness أي ما يجعل من الأدب أدبا.

ج/ لسانيات دوسوسير:

---

[1] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي الحديث، ص: 54،55.

[2] فكتور إيريلخ، الشكلانية الروسية، تر: الولي محمد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص: 14.

[3] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي الحديث، ص: 66.

[4] ينظر، فكتور إيريلخ، الشكلانية الروسية، ص: 14.

تُعد لسانيات دي سوسير (1857،1913)، أحد أهم المؤثرات في حقل الدراسات اللغوية عامة والنقدية خاصة، وأحد مرتكزات المناهج النسقية، فبعدما كانت اللغة تُدرس ضمن علوم أخرى كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ إلى غير ذلك، أصبحت علما قائما بذاته في علم اللغة الحديث الذي أسسه دي سوسير، وصار "موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها"[1].

ولهذا وجب التركيز على الجانب الداخلي للغة ودراستها دراسة وصفية علمية موضوعية؛ أي الحكم عليها كما هي دون إدخال اعتبارات خارجية، ولقد ركز دي سوسير على مفهوم اللغة واعتبرها نظاماً من الإشارات التي تعبر عن الأفكار، بالإضافة إلى تصورها علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع، أطلق عليه اسم السيميولوجيا، وجعل علم اللغة جزءا من السيميولوجيا، ونبه إلى أن تدرس اللغة بصورة مستقلة[2]، أما بخصوص فكرة النظام System فهي منطلق فكرة النسق التي نادت بها المناهج الحديثة.

2/ القراءات الحداثية للخطاب القرآني:

تميزت القراءات الحداثية بثورتها على المناهج السياقية، وهذا من خلال اهتمامها بالنسق، ودراسة النصوص دراسة محايثة، تُبعد كل الاعتبارات الخارجية، والأمر لم يتوقف عند النص الأدبي، بل ذهب النقاد إلى قراءة النصّ المقدّس وفق المناهج الحديثة، فأثرت هذه الموجات في توجهات الدراسات القرآنية، مما جعل البعض يعتمد على هذه المناهج في تفسيره وتحليله للنص القرآني، فظهرت قراءات عديدة من بينها: القراءة البنيوية، القراءة الأسلوبية والقراءة السيميائية.

أ/ تحليل النصّ القرآنيّ في ضوء المنهج البنيوي:

1/ مفهوم المنهج البنيوي:

البنيوية Structuralism من البنية، وهي النّسق أو النظام الذي يتكون من عناصر بينها روابط وكل تحول يحدث في عنصر يؤثر على جميع العناصر، فالبنية "تكتفي بذاتها ولا تتطلب لإدراكها اللجوء إلى أي من العناصر الغريبة عن طبيعتها"[3]، ولقد تأثرت البنيوية بالمد الألسني، الذي ثار على ثنائية الداخل والخارج، وأقصى الخارج.

---

[1] محمود السهران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 49. نقلا عن:
Ferdinand de Saussure : Cours De Linguistique Général, Quatriéme édition Payot ; Paris(1) 1949, P. 317

[2] ينظر، فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، دط، 1985، ص: 34، 35

[3] جان بياجيه، البنيوية، تر: عارف منيمنه، بشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985م، ص: 8.

كما أنها نتاج فكري فلسفي إلحادي، ينطلق من فكرة موت الإله مع نيتشه، وينتهي بموت المؤلف مع رولان بارت، حيث قام هو الآخر بإقصاء المؤلف ونادى بموته، ويرى بأنه يجب تغييب المؤلف عند قراءة النص، لأنَّ "اللغة هي التي تتكلم، وليس المؤلف"[1].

2/ القراءة البنيوية للنصّ القرآنيّ:

لم يتوقف المد البنيوي عند الغرب فقط، بل سافر ومد جذوره في الساحة العربية الإسلامية، وتأثرت هي الأخرى بموجات الحداثة، فذهبت تنهل منها، لدرجة أنَّ هناك من يأخذها كما وردت في الساحة الغربية.

وظهرت فرق تدعو إلى مقاربة النصوص الأدبية وفق المنهج البنيوي، وفرق حاولت تجريب وتطبيقه على النص القرآني، فكيف كانت القراءة البنيوية للنص القرآني في البيئة العربية؟

توجهت بعض الأقلام العربية أمثال (محمد أركون ، أدونيس، طيب تيزيني، حسن حنفي، هشام جعيط، عبد المجيد الشرفي، علي حرب) إلى تطبيق المنهج البنيوي على النص القرآني، ومحاولة قراءته من الداخل قراءة حيثية رغم خطورته، لما يؤمن هو بأفكار لا تتطابق مع القرآن الكريم.

فالمنهج البنيوي يؤمن بعزل المؤلف عن نصه، بل ينادي بموته، وهذا الأمر لا يتوافق مع قدسية النص القرآني ولا يمكننا عزله عن مصدره، المتمثل في الله الواحد الأحد، ولا اعتباره نصاً بدون مؤلف، فالقرآن الكريم كلام الله المقدس المبجل، وفكرة تقديسه مرسخة في الذهنية الإسلامية منذ أزل بعيد، فمقاربته وفق منهج له خلفية إلحادية لأمر خطير، لكن بعض الفرق التي تأثرت بالحراك الحداثي وبالعلمانية توجهت إلى مقاربته، رغبة منها في مواكبة الحداثة، واستسلاما منها لسلطان الشبهات، فتمردت على قدسية الخطاب القرآني.

فنجد محمد أركون قد قام بدراسة وتحليل النص القرآني، وبتقطيعه إلى وحدات صغيرة كمرحلة أولى، وفي مرحلة ثانية قام بالكشف عن قواعد التجميع والتبادل والتعارض بين الوحدات الصغيرة، وتنسيقها في بنيات تفسيرية[2]وقام بفصل الوحي عن القرآن.

واعتبر القرآن عبارة عن فوضى، فهو يرى بأنَّ "نظام ترتيب السور والآيات في المصحف لا يخضع لأي ترتيب زمني حقيقي، ولا لأي معيار عقلاني أو منطقي. وبالنسبة لعقولنا الحديثة المعتادة على منهجية معيّنة في التأليف والإنشاء والعرض القائم على "المحاجّة" المنطقية، فإنّ نص المصحف وطريقة ترتيبه تدهشنا بفوضاها"[3] الأمر الذي

---

[1] رولان بارت، هسهسة اللغة، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1999، ص: 77.

[2] ينظر: محمد عبد الفتاح عمار، القراءات الحداثية للنص القرآني، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، مصر، ط1، 2021م، ص: 199.

[3] محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، تر: هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1993م، ص: 86.

جعله يقول بأنّ "هذه الفوضى تخبّئ وراءها نظاما دلاليا وسيميائيا عميقا. وبالتالي فينبغي علينا أن نستكشف أنماط الخطاب المستخدمة في القرآن وهذا ما فعلته وميّزت بين خمسة أنواع هي: الخطاب البنيوي، والخطاب التشريعي، والخطاب السردي القصصي، وخطابات الحكم والأمثال الجامعة، وخطاب التراتيل والتسابيح"[1] هذا التقسيم ليس إلا نوعا من أنواع أخرى تطرق إليها، لأنه قام بتقسيمات عديدة.

ويرى أيضا بأن "النص القرآني ما انفك ينتج نصوصا ثانوية أو تفاسير تتمثل وتهضم بواسطة الأساليب والاستراتيجيات المتغيرة...وهناك حقل آخر ممتع جدا لبحث، ولكن لم ينتبه إليح أحد تقريبا حتى الآن يخصّ النصّ القرآني مأخوذاً داخل الشبكة المعقدة والمتداخلة جداً لما يدعى التناص ...أي النص الذي يحيل إلى نصوص أخرى مجاورة ومحيطة ويتداخل معها"[2]، وكل هذه التحليلات والتفسيرات من أركون كانت غاية في نفسه بما يوافق وايديولوجياته العلمانية.

والقارئ له يجده ينتقل من منهج لآخر، بما يتوافق والنص الديني كما يقول هو، فمثلا بخصوص القراءة البنيوية يقول "نقصد بالقراءة هنا بالمعنى الألسني الحديث، وليس بمعنى القراءات أو الروايات المختلفة نصيّاً والمتنوعة والتي كان التراث الإسلامي قد نقلها بعد تشكيل المصحف"[3] تصريح منه على تجاوزه للقراءات والتفاسير الإسلامية، وليس هو فقط، بل كل من آمن بالقراءات الحداثية للنص القرآني ثار على مدارس التفسير الإسلامية، لأنَّ في ثورتهم إجلالٌ لأفكارهم وإنعاشٌ لها، وزرعٌ لإيديولوجياتهم، فالتجاوز والتخلي عن المدارس يحقق لهم أهدافهم وغاياتهم، فوجدوا "ضلاتهم في القراءات الحداثية للنصوص دون تفرقة بين النص القرآني وغيره من النصوص الأدبية، بل والنصوص الإلهية الأخرى التوراة، الإنجيل"[4].

ولأنَّ الرؤية الغربية للنص القرآني تنطلق من جذور علمانية تسعى إلى نفي صفة التعالي والقدسية عن النص القرآني، إضافة إلى أنّها "أخذت بأسس الحداثة الفلسفية والتي تنظر إلى النص القرآني على أنه مجرد عن التقديس وعن كل عبارات التعظيم والتبجيل، لذلك كان همها زحزحة المعتقدات وتفكيكها ومن ثمّ مجاوزتها"[5] فجاءت لتحدث القطيعة المعرفية والمنهجية مع جميع "التفسيرات والتأويلات التراثية، بمنطق المناهج الحديثة التي طبقت في مختلف المجالات الإنسانية، متجاهلة مقومات النص المقدّس الروحية الخاصة به وخصوصيته الوجودية"[6].

---

[1] المرجع نفسه، ص: 87.

[2] المرجع نفسه، ص: 88.

[3] المرجع السابق، محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، تر: هاشم صالح، ص: 90.

[4] محمد عبد الفتاح عمار، القراءات الحداثية للنص القرآني، ص: 8.

[5] حكيم سلمان السلطاني، القراءة الحداثية للنص القرآني في ضوء تحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2018م، ص: 52.

[6] المرجع نفسه، ص: 52.

فتطرقوا إلى البحث في بنية النص القرآني معتمدين على اعتبارات لغوية ألسنية ذات مد بنيوي، تنحو منحى آخر غير منحى المفسرين القدامى هدفها "تحقيق حداثة دينية بتمثل الشريعة الإسلامية اعتقادا وعملا وسلوكا، والإقرار بالتمايز الحضاري عن الغرب، وأسلمة المعارف والعلوم الإسلامية"[1]، فذهبت إلى اعتبار أن بنية النص القرآني بنية لغوية أدبية، فهذه القراءات تحاول دائما نزع القدسية عن القرآن الكريم، وإخضاعه لسلطة العقل، وعزله عن مرجعه الأصلي.

ولهذا فالنسقية البنيوية لا تصلح كقراءة للنص القرآني، لأنها تؤمن بمبدأ المحايثة وموت المؤلف، وقطع العلاقة بالمؤلف الأصلي، وزحزحة المرجعيات الخارجية، وهذا الأمر لا يتوافق مع القرآن الكريم، فلا يمكن عزله عن محيطه الخارجي، ولا إقصاء الأسباب التي نزل من أجلها، ولا اعتباره كلاما عاديا، ولا إخفاء حقيقته المطلقة المتمثلة في كونه كلام الله، المنزل على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام عن طريق الوحي.

وعليه يجب على القارئ والمفكر العربي الإسلامي إدراك خطورة المناهج الحديثة لأنها تهدف إلى "إبعاد النص القرآني من سلطة المرجعيات المختلفة وجعله متاحا للتنزيل الإنساني كأيّ نص أدبي أو فكري عاديّ بعيدًا عن مفاهيم الإطلاق والتعالي والانفصال والقدسية"[2].

إضافة إلى أن البنية اللغوية الموجودة في النص العادي تختلف عن البنية اللغوية التي يتميز بها كلام الله، فهو قد جاء بلسان عربي مبين، ﴿الٓرٰۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ سورة يوسف الآية٢، تحدى أهل قريش وهم أهل الفصاحة فلم يستطيعوا أن يأتوا ولو بحرف مثله، فكيف يمكن النظر إليه على أنه نص عادي مثله مثل باقي النصوص الأدبية، خاصة وأن هذه الأخيرة قد تكون لأغراض نفسية إبداعية، اجتماعية، وقد يكثر فيها اللحن والغلط، فليست كل النصوص بريئة من الشبهات، فبعضها يضمر ايديولوجيات تسعى إلى التدمير، ونشر السموم.

أما القرآن الكريم فقد جاء للعالمين، لهداية الناس، لنشر رسالة الإسلام، جاء وبقي وانتشر بدون أن يمسه أي خطأ، فالله سبحانه وتعالى في أول آيات الكتاب العزيز يقول ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ البقرة: الآية ١ – ٢

ب/ تحليل النّص القرآنيّ في ضوء المنهج الأسلوبي:

1/ مفهوم المنهج الأسلوبي:

يعتبر الأسلوب _من حيث هو كلمة_ من أقدم الكلمات في اللغات الأوروبية واللغة العربية، حتى أنها وردت في القرآن الكريم **لقوله تعالى" وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ 82" الحج،**

[1] جميل حمداوي، الإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط1، 2014م، ص: 46.

[2] حكيم سلمان السلطاني، القراءة الحداثية للنص القرآني في ضوء تحليل الخطاب، ص: 53.

وتعتبر الأسلوبية من المصطلحات التي لاقت اهتماما كبيرا من قبل النقاد والبلاغيين، ودارسي الأدب، فهي كمصطلح كان لها تاريخ بلاغي، إذ ينظر إليها كثيرا من الدارسين على أنها "وليدة البلاغة ووريثها المباشر"[1]، أو هي "بلاغة حديثة"[2]، كما أنَّ البلاغة كان ينظر إليها على أنها بداية الأسلوبية. لذا نجد الكثير من المبادئ الأسلوبية مرتبطة بالبلاغة القديمة،" فالأسلوبية قامت بديلا عن البلاغة"[3].

وظهرت الأسلوبية كمصطلح في بداية القرن العشرين مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة؛ كدراسات دوسوسير، حيث رفضت اعتبار اللغة جوهريا ماديا خاضعا لقوانين العالم الطبيعي الثابتة، لأنَّها خلق إنساني ونتاج للروح البشري، وأداة للتواصل ونظام من الرموز المختصة لنقل الفكر، فهي مادة صوتية لكنها ذات أصل نفسي واجتماعي.[4]

أما شارل بالي فيعد مؤسس الأسلوبية في العصر الحديث، حيث قام بنقل درس الأسلوب من الدرس البلاغي إلى ميدان مستقل، بعدما أثرت فيه اللسانيات منهجا وتفكيرا، وصار يُعرف هذا الميدان بالدرس الأسلوبي أو الأسلوبية، ويرى بأنَّها "تدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية أي تدرس تعبير وقائع الحساسية المعبرة عنها لغويا، كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية "[5]؛ أي البحث عن معنى الوقائع وسماتها الوجدانية ومكانها من النسق التعبيري.

2/ القراءة الأسلوبية للنّص القرآنيّ:

الأسلوبية تدخل في نطاق استشعار وإبراز ذلك البعد التعبيري اللغوي، ويتم هذا من خلال استنطاق المواطن العاطفية ضمن إطار اللغة ولهذا فهي "دراسة لقيم تعبيرية وانطباعية خاصة بمختلف وسائل التعبير التي في حوزة اللغة"[6]، وبهذا صارت الأسلوبية تطلق على المنهج التحليلي للأعمال الأدبية.

كما أنَّها تدرس الأسلوب في الجوانب الصوتية والمقطعية والدلالية والتركيبية والتداولية، وتحاول أن تكشف مميزات مختلف الأساليب وبهذا تميزهم عن بعضهم البعض فيصبح لكل أسلوب صيغته الخاصة به.

فنجد أنَّ الدراسات الأسلوبية الحديثة للقرآن الكريم تعتمد على التحليل اللغوي، وتقوم باستنباط الظواهر اللغوية الموجود فيه ودراستها، وتعمل على تحليلها معتمدة في ذلك على أسلوب الإحصاء والتحليل، فمثلا تدرس ظاهرة تعدد صيغ الأمر أو النهي، أو التغيرات التي تطرأ على استخدام اللغة مثل التقديم والتأخير والحذف والوصل.

---

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط3، د_ت، ص: 52.

[2] بيير جيرو: الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط2 1994م، ص:9.

[3] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 52.

[4] ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1992م، ص:13.

[5] منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار نينوي، دمشق، سوريا، ط1، 2015م، ص: 28.

[6] بيير جيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي، ص: 53.

وكما أنَّها اهتمت بظاهرة الانزياح أو الانحراف–انحراف الكلام عن نسقه المألوف–وهذا الأخير هو الذي يشكل أساس الدراسة الأسلوبية، فمن خلاله يستطيع دارس الأسلوب أن يدرس الخطاب على أساس نحوي، ونجد أنَّ من أهم المباحث التي اهتمت بها الأسلوبية العدول؛ وهو" رصد انحراف الكلام عن نسقه المثالي المألوف"[1].

فعندما نبحث فيه نجد أنه يعتمد على "النحو التقعيدي في تشكيل عناصره، الذي كانت تعتمد عليه البلاغة قديما"[2].

ولقد تعددت الدراسات الأسلوبية للخطاب القرآني، فمنها من اتخذها كبحث لنيل (شهادة الليسانس_ شهادة الماستر_ شهادة الدكتوراه)، أو مؤلفات نقدية أكاديمية، إلى غير ذلك، ومن بين الذين ذهبوا إلى دراسة النص القرآني دراسة أسلوبية، عبد الله خضر حمد ببحث تحت عنوان: "الانزياح التركيبي في النص القرآني"، ويرى بأنَّ الانزياح " باب من أبواب الأسلوبية التي تفيد الدارس في الأدب في تحليل النصوص وهو استعمال المبدع للغة مفردات في تحليل النصوص وهو استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصورا يتصف به من تفرد وإبداع وقوة وجذب"[3].

ولقد اهتم بأهم الانحرافات المميزة للنص المقدس، وتطرق إلى الدراسات الأسلوبية التي كانت في الدرس النقدي العربي القديم، نحو دراسات الجرجاني والباقلاني، فالمباحث الأسلوبية الحديثة عُرِفَ بعضٌ منها في التراث البلاغي العربي تحت اسم {علم المعاني} وهو أحد فروع البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع.

ونضجت هذه المسائل عند عبد القاهر الجرجاني{ت471هـ} في كتابه دلائل الاعجاز، ويحتل الجرجاني في كتابيه "أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز" مكانة متميزة في البحث الأسلوبي، بفعل ما تميز به من عمق في التنظير والتطبيق للدرس البلاغي "فكتاب دلائل الاعجاز لعبد القاهر إذن هو أول كتاب تنتظم فيه مسائل هذا العلم"[4].

وعلى حد تعبير الجرجاني فإنَّ "للكتابة القرآنية خصائص لم تعرف قبل نزول القرآن، ويرى أنها لا تكمن في الكلمات المفردة –في جمال حروفها وأصواتها وأصدائها ولا في معاني الكلمات المفردة، التي هي لها بوضع اللغة، ولا في تركيب الحركات والسكنات، ولا في المقاطع، والفواصل، وإنما تكمن هذه الخصائص في النظم والتأليف اللذين يقتضيان الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز فمن هذه يحدث النظم والتأليف، وبها يكونان"[5]، وعليه نجد أنَّ الدارس العربي قد اهتم منذ القرن الثاني للهجرة بدراسة الأسلوب ضمن مباحث الإعجاز القرآني التي

---

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص: 268.

[2] المرجع السابق، محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص: 268.

[3] عبد الله خضر حمد، الانزياح التركيبي في النص القرآني: دراسة أسلوبية، دار اليازوري العلمية للنشر، دط، 2018م، ص: 13.

[4] أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب، القاهرة، مصر، (د–ط)، (د–ت)، ص: 85.

[5] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، 1981م، ص: 300.

استدعت ذلك، وهذا لأنَّ العرب يهتمون بتفسير القرآن والبحث عن أسلوبه، فنجدهم اهتموا بلفظة "أسلوب" عندما حاولوا إثبات ظاهرة الإعجاز القرآني، فقد كان أسلوبه مختلف عن أساليب وكلام العرب.

ويرى عبد الله خضر بأن "الإشكالية في دراسة النص القرآني، في أي من مستوياته، ولكن الإشكالية بدأت تظهر مع المنهج النصاني، ومحاولة تطبيقه على القرآن من قبل بعض المثقفين والنقاد وإخضاعه لشروط النظرية النصية والادعاء بأن القرآن نص بالمفهوم الحديث والمعاصر للنص وأنه يشتمل على وظائف الاتصال التي عددها جاكسبون ومعايير النصانية التي حددها دويوجراد"[1].

وله بحث آخر موسوم ب: جماليات النص القرآني دراسة أسلوبية في المستوى التركيبي، حاول فيه استخراج المظاهر الأسلوبية التركيبية في النص القرآني، كالتحول الأسلوبي، وهو "انزياح تركيبي يعني الانتقال من بين أساليب الكلام انتقالا مفاجئا يستهدف إحداث تأثير فني"[2]، وذكر أنواعا من التحول الأسلوبي في النص القرآني نحو:

_ العدول عن الجملة الفعلية إلى الإسمية وعكسه، كقوله تعالى: حم□ خم□ □ □ سم□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ سورة البقرة، الآية١٤.

_ العدول عن الجملة الخبرية إلى الإنشائية وعكسه، ويرى بأنَّ " التبادل الدلالي بين الخبر والإنشاء يُعدُّ لوناً من العدول عن الأصل، أو الخروج عن مقتضى الظاهر، أو الانحراف بالأسلوب عن قاعدته المثالية، وإنّما يكون ذلك لتحقيق غايات جمالية تُضفي على الخطاب الأدبي تأثيرا بالغا"[3] ومن شواهد العدول عن الإنشاء إلى الخبر ذلك قوله تعالى ﴿ٱلَّذِي□ ير□ □ ين□ □ □ □ □ □ □ □ بجبحبخ بمبهتجتحتختمتهثم□ جم□ حم□﴾ الصف: ١٠ – ١١، و"نلحظ في قوله تعالى {{□بجبحبخ بمبهتج}} أنَّ ظاهر الصياغة خبرية، ولكن المقصود حثُّ المخاطبين على فعل ذلك، والإسراع إلى تنفيذه، بدليل الاستفهام التشويقي الوارد في الآية السابقة {{□ □ }}؟ ففُهم من ذلك الحث والتشويق أنَّ الصياغة تتضمن الأمر، كأنه قيل: آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في سبيل الله، ولكن أسلوب القرآن آثر العدول عن الإنشاء إلى الخبر"[4].

ومن الظواهر الأسلوبية في التركيب: الالتفات وهو من "الأساليب التعبيرية الإبداعية في اللغة الأدبية...والالتفات ظاهرة أسلوبية تعتمد على انتهاك النسق اللغوي المعروف وتجاوزه معتمدا على الانزياح من خلال المطابقة"[5]، ويرى بأن الالتفات قد ورد في القرآن الكريم بمختلف أنواعه، وتوصل إلى الأنواع الآتية: الالتفات الفعلي/ الالتفات العددي/ الالتفات النوعي أو الضميري، ووضع لكل أنواع فروع.

---

[1] عبد الله خضر حمد، الانزياح التركيبي في النص القرآني: دراسة أسلوبية، ص: 86.

[2] عبد الله خضر حمد، جماليات النص القرآني دراسة أسلوبية في المستوى التركيبي، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 15.

[3] المرجع نفسه، ص: 19.

[4] المرجع نفسه، ص: 20.

[5] المرجع السابق، عبد الله خضر حمد، جماليات النص القرآني دراسة أسلوبية في المستوى التركيبي ، ص: 21.

فمثلا الالتفات الفعلي يحتوي على: "صيغ الأفعال مثل: من المضارع إلى الأمر، ومن الماضي إلى الأمر، ومن الماضي إلى المضارع، ومن المضارع إلى الماضي"[1]، ونحو ذلك من الأنواع التي لا تسعنا الورقة البحثية لذكرها كلها.

كما سبق الذكر فإنَّ المدارس الأسلوبية كان لها جذور في التراث العربي القديم، حيث ذهب النحاة والعلماء إلى دراسة ظاهرة الاعجاز التي يتميز بها النص القرآني، أما في العصر الحديث والمعاصر فإنَّ الدراسات والبحوث تجمع بين البحوث العربية القديمة وبين مقتضيات المدرسة الأسلوبية الحديثة واختيار ما يوافق النص الديني لدراسة المظاهر الأسلوبية فيه.

ج/ قراءة النص القرآني في ضوء المنهج السيميائي:

1/ مفهوم المنهج السيميائي:

السيمياء أو السيميولوجيا "Semiologie" مصطلح ظهر في حقل المقاربات المنهجية للنصوص، والسيمياء لها جذور في المعاجم اللغوية، وترتبط "بحقل دلالي لغوي-ثقافي يحضر معها فيه كلمات مثل السمة والتسمية والوسام والوسم والسيماء والسيمياء (بالقصر والمد) والعلامة"[2]. ولفظة Semiology "مشتقة من الكلمة الاغريقية Semeien: الإشارة"[3].

أما بخصوص كونها مصطلح الدراسات المنهجية فهي تُعنى بدراسة "العلامات (الإشارات) دراسة منظمة منتظمة"[4]، فهي تهتم بالعلامات اللغوية وغير اللغوية، تبحث في الدلالات والعلامات والرموز.

ويجد الباحث في حقلها مصطلحين: السيميولوجيا/ السيميوطيقا، وهذا راجع إلى كون أنَّ مصطلح السيميولوجيا Semiology قد شاع عند الأوروبيين، خاصة وأنّ دوسوسير هو أول من اجتهد في اطلاقه عندما قام بدراسة علم اللغة أو اللسانيات، وجعل السيميولوجيا علم عام وأصل، أمّا اللسانيات فهي فرع منها " فعلم اللغة هو جزء من علم الإشارات"[5]، وعليه فالسيميولوجيا هي نفسها علم الإشارات، التي تبحث في العلامات غير اللغوية التي تنشأ في المجتمع، لكن رولان بارت جاء بعده وقام بتقويض فكرته، وأعاد ترتيب المعادلة بحيث أصبحت السيميولوجيا جزءا من علم اللغة، فهو يرى بأنَّ "العلامات الغيرية (Objectaux)، غير اللغوية، لا تكتمل هويتها ما لم يُتحدث عنها لغوياً، أي قبل أنْ تصبح علامات لفظية (Verbeaux)"[6].

---

[1] المرجع نفسه ، ص: 22

[2] ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2002، ص: 178.

[3] فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، ص: 34.

[4] المرجع نفسه، ص: 177.

[5] المرجع نفسه، ص: 34.

[6] يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص: 224.

أمّا مصطلح السيميوطيقا Sémiotique نجده عند الأمريكيون فهم "يفضلون السيميوطيقا التي جاء بها المفكر والفيلسوف الأمريكي تشارلس ساندرز بيرس"[1]، وقد قام هذا الأخير بدمج السيميوطيقا في حقل الفلسفة، بحكم مجال تخصصه، فجعلها لها معنى آخر وهو المنطق، ف"ليس المنطق بمعناه العام سوى تسمية أخرى للسيميوطيقا أو السيميائية، إنه النظرية شبه الضرورية أو الشكلية للعلامات"[2]، فالسيميوطيقا هي الدراسة الشكلانية للمضمون إذْ تمر عبر الشكل لمساءلة الدوال من أجل تحقيق معرفة دقيقة للمعنى، وتدرس العلامات داخل المجتمع بخلاف سيميولوجية دوسوسير كما سبق الذكر.

2/ القراءة السيميائية للنص القرآني:

تدرس السيمياء حركة وحياة العلامات المحسوسة والعلاقة التي تربط بينهما، وكيفية إنتاج المعنى، إضافة إلى أنّها تحليل جمالي يبحث في العلاقات الدلالية للقبض على المضمر في النص، وللسيمياء طرق عديدة لدراسة العلامات الموجودة في النصوص، وتم تطبيقها على جميع النصوص.

وكان النص القرآني من بينهم، ولهذا حاول الحداثيون إثبات أنَّ "النص القرآني مجموعة رموز أو مجازات قابلة للترميز لأي شيء، فلغته الرمزية تتيح للقارئ حرية أوسع في تقويل النص. ولغة القرآن بنظرهم رمزية في معظم الأحيان"[3]، فالحداثيون يعتقدون بأن لغة القرآن الكريم نظام من العلامات والرموز والإشارات الاعتباطية، ولهذا حاولوا استخراج الدلالات من السور القرآنية، وتطبيق المقاربة السيميائية؛ كاستخراج البنية السطحية والعميقة، دراسة الألوان التي وردت في النص القرآنيّ، دراسة أسماء السور كعتبات سيميائية، البحث عن الرموز في القصص القرآنيّ، إلى غير ذلك. ومن بين الذين قاموا بدراسة النص القرآني في ضوء المنهج السيميائي نجد: محمد أركون.

ويقول أركون عن سبب اختياره للمنهج "أحاول أن أرى كيف يشتغل النص القرآني، وكيف يمارس آلياته، وكيف يولد آثار للمعنى (أي المعاني والدلالات)، وكيف يولد تشكيلا معينا للوعي"[4]، ويرى بأنَّ "التحليل السيميائي يقدّم لنا فرصة ذهبية لكي نُمارس تدريباً منهجياً ممتازاً يهدف إلى فهم كل المستويات اللغوية التي يتشكل المعنى (أو يتولد)

---

[1] ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص: 177.

[2] مبارك حنون، دروس في السيميائيات، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص: 77.

[3] حكيم سلمان السلطاني، القراءة الحداثية للنصّ القرآنيّ في ضوء تحليل الخطاب، ص: 109.

[4] محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص: 231.

من خلالها"[1]، فالمقاربة السيميائية حسب رؤيته توفر لنا "مسافة نقدية فكرية بيننا وبين المسألة الأساسية التي تخصّ المؤلف والمكانة المعرفية للخطاب القرآني"[2].

وانطلاقا من هذا التصور يتبين للقارئ أنَّ المنهج السيميائي قد تجاوز الدراسات البنيوية التي دعت وسعت إلى عزل المؤلف عن نصه، فهو _المنهج السيميائي_ حسب أركون يتيح له أن يعيد المؤلف وفق شروط وأحكام، بحيث أن يكون النّص المدروس مقدسا، فإنجاز هذا التحليل بشكل بدقيق حسب تعبيره لن "يؤدي بالضرورة إلى إنكار دور الذات الحرة في توليد المعاني وتحديده"[3].

ويرى بأنّ "التحليل السيميائي أو (العلاماتي الدلالي) ينبغي أن يحظى بالأولوية وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالنصوص الدينية التأسيسية ذات الهيبة الكبرى"[4]، ومن هذا المنطلق يبحث للحفر في طبقات معنى النص والمفردات للوصول إلى معناها، وقد طبق أركون العديد من الآليات السيميائية، من بينها تطبيق المخطط السيميائي الذي وضعه غريماس، فسورة العلق كنموذج تطرق إلى دراستها، تتمثل حسب رؤيته وفق بنية سيميائية تتمثل في الله كأنه "ذات فاعلة أساسية، فهو الذي ينظّم نحويا، وبلاغيا، ومعنويا الخطاب كله. ولكن يوجد هناك فاعلان أو لاعبان اثنان في الساحة: الأول هو النبي الذي وُجِّه إليه الأمر، والثاني هو الانسان الذي يمثّل الهدف النهائي والمخاطَب الأخير الذي وُجِّهت إليه المبادرات والأوامر"[5]. فالبنية السيميائية التي تتضمنها سورة العلق: المرسل: الله/ المرسَل إليه الأول: الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام/ المرسَل إليه الثاني: البشر.

ويرى بأنَّ هناك جدلية مستمرة التوتر في الخطاب القرآني، تتمثل في "الله (المعبر عنه بمضير نحن) وبين الانسان/ أو الناس (المعبر عنهما بالضميرين هو، هم)"[6]، ولقد استخدم ضمير الغائب هو/ هم كدلالة للتعبير عن الانسان العاصي التي تكون بينه وبين الله علاقة توتر، بسبب العصيان والتمرد.

ومن خلال التحليل السيميائي يتبين لأركون بأنَّ "كل وحدة نصّية من وحدات الخطاب القرآني مبنية على أساس سلسلة متسلسلة من الأحداث المركبَّة على هيئة بنية دراماتيكية أو مسرحية مثيرة"[7]، فأركون يرى بأنّ الخطاب القرآني

---

[1] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص: 35.

[2] المرجع نفسه، ص: 34.

[3] المرجع نفسه، ص: 35.

[4] المرجع نفسه، ص: 34،35.

[5] المرجع نفسه، ص: 31.

[6] المرجع نفسه، ص: 31.

[7] المرجع السابق، محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، ص: 35.

عبارة عن مسرح يتضمن ذواتا وفاعلين، بينهم علاقات وأحداث صراعية، ويوضح أركون هذه الأحداث ويحددها في:

"1_الله يُطلق حكماً أو يُبلّغ رسالة؛

2_ بعض الذين توجّه الله إليهم بالخطاب يرفضون الاستماع إلى رسالته. والبعض يستمعون إليها ولكنهم يرفضون الإيمان بها. والبعض يقبل الرسالة بصفتها معرفة، ولكنهم يرفضون إتباعها في العبادة والحياة اليومية. فقط بعض الأشخاص الملهمين جيداً يقبلون بالرسالة تماماً، وهؤلاء هم المؤمنون، إنهم حزب الله؛

3_ يوم الحساب سوف يجيء لا محالة. وعندئذ سوف يكافأ المؤمنون عن طريق النجاة في الدار الآخرة، ويُعاقب العصاة ويُنبذون من قِبَل الله، ويكون مصيرهم جهنم وبئس المصير."[1]

يوضح للقارئ الذوات الفاعلة في الخطاب القرآني، والعلاقات التي تجمعهم، فوفق البرنامج العاملي الذي وضعه غريماس، هناك علاقات تجمع بين الذوات: علاقة رغبة وتواصل، أو علاقة انفصال/ علاقة إرسال/ علاقة صراع. وقد وضحها أركون في الفقرة السابقة، ومن بين أيضا الآليات والأنماط التي اعتمد عليها أركون لدراسة البنيات السيميائية الموجودة في الخطاب القرآني "النمط البنيوي، والنمط الحِكميّ، والنمط السردي القصصي (القصص القرآني)، والنمط الترتيلي أو التسبيحي، والنمط التشريعي، والنمط الإقناعي، والنمط الجدالي أو الصراعي (مع الكفار أو الجاحدين للرسالة)"[2] إلى غير ذلك من الأنماط، الذي توضح بأن أركون قد يعمد إلى الاتكاء على دراسة معينة تخدم تحليله السيميائي، ولأن السياق البحثي لا يسمح لنا بإدراج كل المناهج التي اتكأ عليها لتخدمه في تحليله.

يتضح هذا التعاون المنهجي عنده، عندما يقوم بدمج البنية العاملية مع الترسيمة القانونية لعملية القول والترسيمة القانونية للمسار السردي، ليدرس الذوات الفاعلة في الخطاب القرآني، ولقد توصل إلى المخطط البياني التالي:

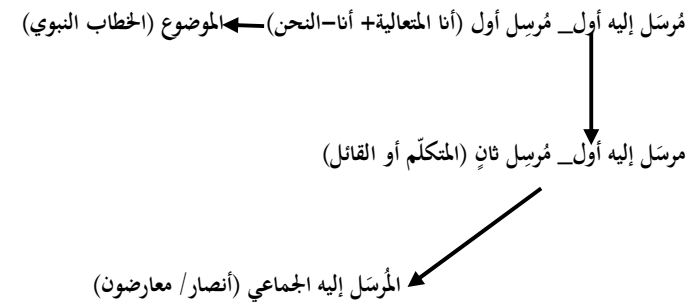

[1] المرجع نفسه، ص: 35.

[2] المرجع نفسه، ص: 36.

المصدر: محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، ص: 62.

هذا المخطط عند محمد أركون يمثل البنية السيميائية الموجودة تقريبا في كل النص القرآني.

خاتمة:

توصلنا في الختام إلى جملة من النتائج، نشيد بالذكر منها:

ـ إنَّ القراءة النسقية للخطاب القرآني ليست بريئة كليا، لأنَّها تتعامل مع نص مقدس، له خصائصه التي لا تتوافق مع بعض المبادئ النسقية، كموت المؤلف، عزل النص عن العالم الخارجي، اعتبار النص بنية لغوية لذاتها ومن أجل ذاتها.

ـ يجب احترام خصوصية النصّ القرآنيّ، والنظر إلى المناهج النسقية، كروافد تدميرية أكثر منها كمناهج للقراءة، وعلى الباحثين العرب التمهل في التغذية عليها، بل واتخاذ تدابير عند اللجوء إليها، غربلتها من الشوائب والعوائق التي حملها المنهج المهاجر، خاصة وأنّه يتكئ على خلفيات فلسفية إلحادية.

ـ أبرز الحداثيون العرب الذين قاموا بقراءة النّص القرآني وفق المناهج النسقية، كان لغرض نفسي وشخصي في ذواتهم، فهم يختارون الآليات والمقولات التي تخدم مذاهبهم، وايديولوجياتهم، وأغلب هؤلاء لهم خلفيات علمانية.

القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.

المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

1/أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب، القاهرة، مصر، (د-ط)، (د-ت).
2/جميل حمداوي، الإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط1، 2014.

3/حبيب مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي دراسة في المناهج، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، دط، دت.
4/حكيم سلمان السلطاني، القراءة الحداثية للنص القرآني في ضوء تحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2018.
5/عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط3، د_ت.
6/عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، 1981.
7/عبد الله خضر حمد، الانزياح التركيبي في النص القرآني: دراسة أسلوبية، دار اليازوري العلمية للنشر، دط، 2018.
8/عبد الله خضر حمد، جماليات النص القرآني دراسة أسلوبية في المستوى التركيبي، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دت.
9/عمر عيلان، النقد العربي الجديد مقاربة في نقد النقد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
10/مبارك حنون، دروس في السيميائيات، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987.
11/محمد عبد الفتاح عمار، القراءات الحداثية للنص القرآني، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، مصر، ط1، 2021.
12/محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
13/محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1992.
14/محمود السهران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت.
15/منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار نينوي، دمشق، سوريا، ط1، 2015.
16/ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2002.
17/يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
18/يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي الحديث، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007.

المراجع المترجمة:

1/بيير جيرو: الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط2 1994.

2/جان بياجيه، البنيوية، تر: عارف منيمنه، بشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985.
3/رولان بارت، هسهسة اللغة، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1999.
4/فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، دط، 1985.
5/فكتور إيريلخ، الشكلانية الروسية، تر: الولي محمد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
6/محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996.
7/محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، تر: هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1993.